

العلماء مهما بلغو فهم مقيدون بنصوص الشريعة

ثم قال الكاتب: [حتى أشرقت على قلبه شمس المعارف الربانية، فأصبح القلب ينبوعا من ينابيع الأنوار، والأسرار، والحكم الربانية.. إلخ]. نقول: هذا غير صحيح؛ فإن ذلك يستلزم تفوقه على الرسل، والملائكة، واستغناه عن الشريعة وعلومها، فإن النبي هو الماء النابع من الأرض، فمعنى ذلك أن شمس المعارف الربانية، والعلوم الدينية قد أشرقت على قلوب الصوفية، وسطعت فيها فاستشارت بها فأصبح ينبوعا للأنوار، والأسرار، يعني: معننا تبع منه الأنوار الإلهية، وتتجذر منه عيون الحكمة، وتتوارد عليه الأسرار، والحكم الربانية فتعينه عن العلوم الشرعية. ونحن لا ننكِّسْ أن الله تعالى قد يفتح على بعض العباد إفهاماً، وحكمـاً، وأسراراً في كتابه أو شرعيـه، كما في قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعْلَمُ كُمُ اللَّهُ} ؛ حيث جعل التقوى سبباً للتعليم، فالله تعالى قد يرزق بعض عباده الأتقياء والصالحين علوماً وإفهاماً، وأسراراً في كتابه أو في شرعيـه، ولكنها مستنبطة من القرآن والحديث، ومن الحكم العامة التي لأجلها شرعت الشرائع وتنوعت الأوامر والأحكام، ولا تصل إلى الوصف الذي يذكره الكاتب من إشراق شمس المعارف .. إلخ، فإنه مع ما فيه من المبالغة، والإطراء غير صحيح، فإن القلب البشري لا يتصور أن يصبح ينبوعا من ينابيع الأسرار، والأنوار، والحكم الربانية، وذلك لقصر الإنسان عن هذا الوصف مهما فتح عليه من العلوم، والمعارف، مع أن هذا الوصف ليس خاصاً بالمتصوفة، بل هناك علماء الأمة وعبادها قاموا بحقوق ربهم ووقفوا عند حدوده، وعبدوه حق عبادته، قد فتح الله على قلوبهم من الفهم والإدراك والحفظ والاستنباط الشيء الكثير، كما حصل للأئمة الأربعـة وللمحدثـين والفقـهاء من صدر هذه الأمة، وهم مع ذلك لم ينقطعوا عن الشهوات والملذـات، ولم يدخلوا في عـداد الصوفـية، ولا توغلوا في إـشاراتـهم ورموزـهم، بل هـم متقيـدون بنصوصـ الشـريـعـة وبنـطـالـيمـ رـبـهـمـ، وـمـتـبعـونـ لـسـنةـ نـبـيـهـ -صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ- وـذـلـكـ هـوـ الفـضـلـ العـظـيمـ.